تأثير العامل الجيوبوليتيكي الروسي في الحرب على أوكرانيا ٢٠٢٢

د. وداد حماد مخلف الفهداوي

جامعة الانبار/كلية التربية للبنات

المستخلص:

أثار الغزو الروسي لاوكرانيا في شباط ٢٠٢٢إعادة التفكير بشكل أساسي في التحولات الجيوسياسية الطارئة في العالم ، ومحاولة تفسير العوامل الجيوبوليتيكية التي تؤدي الى تلك التحولات ، واذا كانت الصراعات الناشئة ولا سيما بين الدول الكبرى تثير تساؤلات حول سبب حدوثها ، فان الحرب الروسية في أوكرانيا تشير بوضوح الى دور العامل الجيوبولتيكي فيها من خلال رؤية الروس لمجالاتهم الحيوية (الجيوبوليتيكية) ، ونظرة القوى الكبرى الأخرى الى هذه المجالات ومحاولات مزاحمة روسيا في النفوذ عليها. وقد اهتم البحث الحالي بتحليل الرؤية الجيوبوليتيكية الروسية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والاثر الذي احدثه هذا السقوط في بلورة تلك الرؤية ، التي يطلق عليها الروس(الاوروآسيوية الجديدة)، والتي دافعو عن وجودها الجيواستراتيجي والاقتصادي والعسكري، وبدونها لن يكون هناك فضاء روسي مصمم بقوة لإيقاف نزعة القوى الغربية (الأوروبية– الامريكية) للتوسع في المجالات الروسية الجيبوليتيكية، فضلاً عن أهمية اوكرانيا بالنسبة لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، جيوسياسياً وجيواستراتيجياً . وبعد ان تم استعراض العديد من الحقائق الجيوبوليتيكية المتعلقة في علاقة روسيا باوكرانيا تم تحليل العامل الجيوبوليتيكي الروسي في الحرب على أوكرانيا ٢٠٢٢ للوصول الى تاثيره في قيام الحرب في أوكرانيا ، وقد تم وضع تنبؤات مستقبلية عن تأثيرات نتائج تلك الحرب على المجالات الجيوبوليتيكية الروسية.

الكلمات الاصطلاحية:المجالات الجيوبوليتيكية الروسية ، النظرية الاوروآسيوية ، الجيوبوليتيك الروسي–الأوكراني .

The impact of the Russian geopolitical factor in the war on Ukraine 2022

PHD. Wedad Hammad Mukhlef

Anbar University/College of Education for Girls

Email: werty.2000@yahoo.com

Mob:07836444882

https://orcid.org/my-orcid?orcid=0000-0002-4573-4812

Abstract:

The Russian invasion of Ukraine in February 2022 sparked a fundamental rethinking of the urgent geopolitical transformations in the world, and an attempt to explain the geopolitical factors that lead to these transformations, and if the emerging conflicts, especially between major countries, raise questions about the cause of their occurrence, then the Russian war in Ukraine clearly indicates The role of the geopolitical factor in it through the Russians' vision of their vital fields (geopolitics), and the view of other major powers on these areas and attempts to compete with Russia in influence over them. The current research was concerned with analyzing the Russian geopolitical vision after the fall of the Soviet Union and the impact that this fall had on the crystallization of that vision, which the Russian geopolitics call (new Eurasianism), which they defended for its geostrategic, economic and military presence, without which there will be no Russian space that is strongly designed to stop the trend of Western powers (European-American) to expand in Russian geopolitical fields, in addition to the importance of Ukraine for both the United States of America and the European Union, geopolitically and geostrategically.After reviewing many geopolitical facts related to Russia's relationship with Ukraine, the Russian geopolitical factor in the war on Ukraine was analyzed. Ukraine 2022 In order to get to its impact on the outbreak of the war in Ukraine, future predictions

have been made about the effects of the results of that war on the Russian geopolitical fields.

Key world : Russian geopolitics, Eurasian theory, Russian-Ukrainian geopolitics

المقدمة:

كانت نهاية الحرب الباردة وجنوح الولايات المتحدة نحو الهيمنة على العالم بدون منازع في بداية عقد التسعينات من القرن العشرين قد أوحى بأن الجغرافيا السياسية، لم تعد تنال الاهتمام الذي سبق وأن شغلته، وما تولد عنه من نظريات جيوبولتيكية كبرى (سبيكمان –ماكندر – ماهان)، سيما وان تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، قد أعاد طرح موضوع الجيوبولتيكيا ، من خلال توسيع المجالات الحيوية للدول ، و استثمار لطرح النظريات الجيوبوليتيكية ، والحد من تحديات الطبيعة لبعض الدول ، وعلى وفق ذلك اعيد فهم الجيبولتيكيا في ظل ما شهده العالم بعد تغيير موازين القوة وانتقالاتها، فالجيوبولتيك وفق ذلك ليس هو ما تفرضه الجغرافيا ، بل ما ذا تريد الدولة من الجغرافيا بحسب المنظر الجيوبوليتيكي الروسي(ألكسندر دوغين) الذي رآى في الجغرافيا الروسية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي رافعة جيوسياسية خطيرة على روسيا بعد ان حرمتها من البحر الأسود نافذتها التاريخية على الشواطئ الدافئة في البحر الأبيض المتوسط وجعلها تتجه الى دولة شبه مغلقة، وهو ما تيقنت منه الولايات المتحدة الأمريكية (ذات الفضاء البحري الواسع) وعملت مع حلفائها الغربيين، وبعض القوى الأوكرانية المتاثرة بالليبرالية الغربية ، على منافسة المجالات الجيوبولتيكية الروسية وتحجيم طموح مفكريها الذين نادوا(**بالاوروأسيوية الجديدة**) ومحاولة منعها من خلق هذا الفضاء الجيوبوليتيكي الذي يحفظ لها مكانتها الجيوبولتيكية، ويمنع تطويقها.

لذلك فقد رمت الولايات المتحدة الأمريكي بكل ثقل مؤسساتها ، للتأثير في الاوضاع الأوكرانية وخلق أزمة كبيرة لروسيا، ليتسنى للولايات المتحدة وحلفائها الاوربيين حرمان روسيا من مجالها الجيوبوليتيكي في أوكرانيا ، لاسيما في شبه جزيرة القرم ، ومحاولة إعادة المشهد في جورجيا على أوكرانيا ، فما كان من الروس الا التدخل في القرم مع وجود اسطولها السادس في موانئها وضمها الى روسيا عام ٢٠١٤ ، لتستمر الضغوط الغربية على روسيا بدءاً من الحركات التي يجريها الناتو والأمريكان في المحيط الأوروبي الأقرب لحدود روسيا، والتي حذرت موسكو الغرب منها، والتي اسموها(الالعاب الجيوبولتيكية) فلم يبقى امام روسيا الا الحد من الخسائر الجيواستراتيجية والقيام بما وصفته بعملية عسكرية خاصة في أوكرانيا تطورت الى حرب شاملة الحقت الخسائر الكبيرة بالطرفين ، على امل ان تعود ببعض المكاسب (الجيوبوليتيكية) وشيء من الخسائر التي من الصعب تكهنها ، الا من خلال تحليل العامل الجيوبوليتيكي الروسي في الحرب على أوكرانيا ٢٠٢٢ للوصول الى تنبؤات مستقبلية حولها ، علماً إن مخاطر الحرب في اوكرانيا عالية للغاية ، سواء

بالنسبة للدول المجاورة ، او لقوى الكبرى في العالم ، وهو ما يتم معالجته في البحث الحالي من خلال طرح الحقائق الجيوبوليتيكية الروسية في علاقتها مع أوكرانيا للوصول الى اهم الاستنتاجات حول الموضوع.

مشكلة البحث : مادور العامل الجيوبوليتيكي الروسي في الحرب على أوكرانيا خلال سنة ٢٠٢٢ ؟

فرضية البحث: ان التنافس بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الأوروبيين قد تحول الى صراع جيوبوليتيكي في أوكرانيا نظراً لمميزاتها الجغرافية والسياسية.

المحور الأول : الجغرافية السياسية لروسيا وأوكرانيا

أولا : الموقع الجغرافي لروسيا

تقع روسيا في نصف الكرة الشمالي في قارة اسيا وتشغل مساحة (١٧،١٠٠٠٠٠) كم٢ ،بين دائرتي عرض (٨١،٤٩ ش و ٤١،١١ ش) بهذا الامتداد المساحي تتاثر درجات الحرارة بالتباين بين منطقة وأخرى وهي على الاغلب لا تشجع على التنمية الزراعية بسبب الظروف المناخية غير الملائمة بين الجفاف في جنوب روسيا وشديد البرودة في شمالها (Bashir ، 2023،91)، تحيط روسيا محاطة ثلاثة عشر بحراً ، و محيطين ومع ذلك فهي دولة شبه حبيسة، ليس لها منافذ بحرية مفتوحة (خريطة رقم ١)، فعلى الرغم من أن المحيط القطبي الشمالي والمحيط الهادئ

(خريطة ١) الموقع الجغرافي لروسيا ومنافذها الى البحار والمحيطات

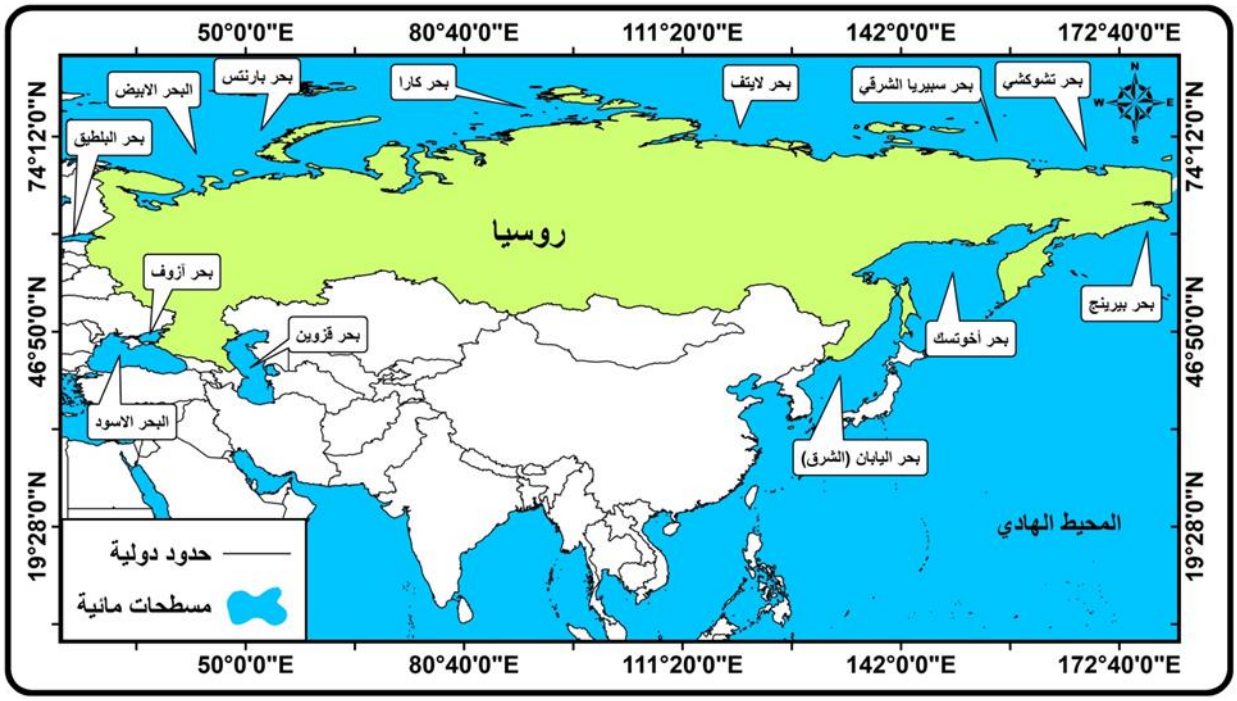

المصدر: فيرونيكا حليم فرنسيس، جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية "دراسة في أثر الجيوبوليتيك في علاقة روسيا بدول الجوار،المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية و العلوم السياسية، العدد ٨ – ٢٠١٩، ص١٥٣.

يشكلان الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لروسيا، على طول ٣٨،٨٠٨ كم، إلا أن مياههما تتجمد طوال العام لقربهما من المدار القطبي. كما أن مدينة فلاديفوستك، التي تعد الميناء الأهم لروسيا الاتحادية في الشرق، تقع في بحر اليابان (بحر الشرق)، و من جهة الغرب تطل مدينتا سانت بطرسبرج وكالينينغراد على بحر البلطيق الذي يفصله عن بحر الشمال مضيق أوريسند، ويمثل هذا المسار عائقًا لروسيا نظراً لأن معظم الدول التي تطل عليه أعضاء في حلف شمال الأطلسي ، ليبقى المنفذ إلى البحر الأسود الذي يفصله عن البحر المتوسط مضيق البوسفور، اي أن أوروبا تشارك روسيا معظم المنافذ البحرية المتاحة أمامها، خاصة المنافذ الغربية، مما يعطي القوى الغربية الأفضلية في تطويق الدولة الروسية(Francis, 2019: 150).

وعليه لا يزال الواقع الجغرافي يضغط على روسيا الاتحادية ففي شمالها بحار متجمدة غير صالحة للملاحة، وليس لها منفذ للمياه الدافئة إلا عبر البحر الأسود مروراً بمضيق البسفور والدردنيل ثم بحر ايجة ثم البحر الأبيض المتوسط (محمد ، ٢٠١٦ : ٤٣٣). لم يعد الاتحاد السوفيتي قائماً بعد عام ١٩٩١، وبرزت روسيا الاتحادية بوضعها الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي، لكن بمساحة (٧٦%) من اجمالي مساحة الاتحاد و(٥٠%) من حجم سكانها، واقتصادياً(٤٥%)من انتاجه. وأستأثرت روسيا بما نسبته(٩٠%)من القوى الاستراتيجية النووية، وعلى(١٢٠٠٠)رأس نووي. وأستطاعت المحافظة على نفوذها في مجالها الحيوي، ومكانتها الاستراتيجية، وتأثيرها على أجزاء مهمة من الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والقوقاز، كما احتفظت بمكانة سياسية مهمة في الخريطة العالمية، كل ذلك بفضل ترسانتها النووية، (Ghulam, 2017: 47)

ثانياً: المناخ والديمغرافيا والموارد

تواجه روسيا معضلة أخرى فيما يخص الجغرافيا وهي صعوبة المناخ، مما أدى إلى خلق مشكلة ديمغرافية؛ حيث يتكتل ٧٥ % من السكان الروس، البالغ عددهم إجمالًا حوالي ١٤٦ مليون نسمة وفقا لإحصاءات عام ٢٠١٩ ، على الحدود الغربية بين روسيا وأوروبا "روسيا الأوروبية" التي لا تتجاوز مساحتها ٢٥ % من إجمالي مساحة روسيا، وحدودها الجنوبية في المنطقة بين البحر الأسود وبحر قزوين، نظراً للظروف المناخية المعتدلة هناك. وبالتالي تركزت كل الأنشطة الزراعية والصناعية والحيوية بالقرب من منطقة التهديد الأولى بالنسبة لروسيا. بينما يعيش ٢٥ % من الروس في الأراضي الممتدة من جبال الأورال إلى المحيط الهادئ في "روسيا الآسيوية" بالقرب من الحدود مع كازاخستان ومنغوليا والصين (Francis, 2019: 151).

وعلى صعيد الموارد تتمتع روسيا بتنوع كبير منها مثل الغاز والنفط والكهرباء والفحم والطاقة النووية كما تمتلك ثروات ضخمة من الطاقة الطبيعية المتجددة لم تستغل بشكلها الامثل حتى الوقت الحاضر ، وتعد روسيا الدولة الاولى في العالم من حيث احتياطي الغاز الطبيعي حيث تمتلك ٣٤% من احتياطيات العالم وتبلغ ١٧٠٠ تريليون قدم مكعبة ، وتمتلك روسيا سابع اكبر احتياطي نفطي في العالم وتحتل المرتبة الثانية عالميا كأكبر منتج ومصدر للنفط في العالم وتشير التقديرات الصادرة عن معهد اكسفورد لدراسة الطاقة بان احتياطيات النفط المؤكدة لروسيا تصل ٦٨،٢ مليار برميل ، وتمتلك روسيا خبرة كبيرة في بناء المفاعلات النووية وتشغيلها وتقوم في الوقت الحاضر ببناء مفاعلات نووية للهند كما انها تشرف على بناء مفاعل بوشهر الايراني منذ منتصف التسعينيات (Al-Jubouri, 2010: 328).

ثالثا: التهديدات الجيوبوليتيكية الروسية

نظرت روسيا إلى التحركات الأمريكية في ضوء فرض الهيمنة الأمريكية على العالم وتعزيز وترسيخ حقيقة القطب الأوحد، والقضاء على أي منافس دولي، بانها تهديدات مباشرة موجهة ضدها، ولم تقتنع بالحجج والمزاعم التي ساقتها واشنطن لتبرير تلك التحركات ، فقد كان لنشر الدرع الصاروخي في بولندا والتشيك ، بان عدته روسيا تهديداً مباشراً لها سيما أنه جاء مواكباً لخطوات وإجراءات أمريكية أخرى مثل الغاء الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة الانظمة الدفاعية المضادة للصواريخ الباليستية والتي كانت تعدها روسيا حجر الزاوية في العلاقات بين البلدين، إذ تؤمن الردع المتبادل بينهما كونها تعطي الفرصة لروسيا لتوجيه الضربة الثانية بنجاح إذا ما وجهت الولايات المتحدة الأمريكية ضدها الضربة الأولى، أما مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي فأنه في حال تنفيذه سيحرم روسيا من أية قدرة على توجيه الضربة الثانية، أي أن روسيا عدت هذا البرنامج يمثل تهديداً مباشراً للتوازن الاستراتيجي بين البلدين (Mahmoud, 2020, 91).وتشكل الدول التي تقع على الحدود الغربية لروسيا حلقة تحوطها بالكامل، بدءًا بدول البلطيق (إستونيا ولاتفيا وليتوانيا)، مروراً ر ببيلاروسيا وأوكرانيا، ودول البلقان في داخل جنوب شرق القارة الأوروبية، وأخيراً دول جنوب القوقاز (جورجيا وأرمينيا وأذربيجان)، ويتخلل هذه الحدود أهم تهديد أمني جيوبوليتيكي لروسيا وهو: قواعد حلف الناتو والدروع الصاروخية، كما ان القوميات الروسية، تنتشر بشكل أوسع وأكبر على الحدود الغربية الشمالية لروسيا مقارنة بالمناطق الأخرى (Henrikson, 2022 : 15).وقد شكلت عدداً من التهديدات في المجالات الجيوبوليتيكية الروسية التي كانت ضمن مجال الاتحاد السوفيتي السابق مصدراً لقلق صانع القرار الروسي ، ويمكن تحديد تلك التهديدات فيما يلي:

١- محاولة الولايات المتحدة الأمريكية عزل نظام بيلاروسيا من اجل جلب واصطفاف بيلاروسيا مع الغرب لحرمان موسكو من ميزة التعاون والعمل مع الجيش البيلاروسي ذو السمعة الأفضل في أوروبا الشرقية والوسطى، وكذلك من العمق الاستراتيجي لها.

٢- وعود واشنطن بضم (أوكرانيا) إلى منظمة حلف شمال الأطلسي عندما أقر مجلس الشيوخ الأمريكي عام ٢٠٠٧ مشروع قانون يطلب بدعم انضمامها إلى حلف الناتو، إذ أن اخراج أوكرانيا من دائرة نفوذ موسكو سيعمل على حرمانها من نقطة الارتكاز الجيوسياسية التي تتحكم في البلقان كما في القوقاز، فضلاً عن حرمانها من عمق جغرافي ويقيد تحريك الأسطول البحري الروسي في البحر الأسود(Hayali and Al-Mawsawi, 2009: 47).

٣- تحتل منطقة القوقاز نصف الامتداد اليابس الذي يفصل بين البحر المتوسط وبحر قزوين، ويتركز فيها انتاج النفط ، فضلاً عن الانتاج الزراعي وتتنوع تركيبتها السكانية، و كانت دوماً محط الأنظار للقوى الكبرى للاهمية الاستراتيجية المتميزة لها، وقد وصف (زبيغنيو بريجنيسكي) مستشار الرئيس الأمريكي السابق للأمن القومي (جيمي كارتر)، الرؤية الأمريكية قائلاً: "إن جورجيا تفتح أمامنا الطريق للدخول نحو النفط والغاز في أذربيجان، وبحر قزوين، وكذلك آسيا الوسطى، وأنها تمثل لنا ميزة استراتيجية كبرى (Algarni , 2022:6).

٤- في الشيشان ترى روسيا الاتحادية النزاع تهديداً لمصالحها الحيوية القومية، إذ أن استقلال الشيشان سيعمل على تسريع التجزئة السياسية إن لم يكن تفكك الفيدرالية الروسية، ويغذي ديناميكية الانفصال في داغستان، وفي جمهورية الفيدرالية في شمال القوقاز، وفي منطقة (كالينغراد)، وفي جزر (الكوريل) التي تطالب بها اليابان.

٥- نظراً للأهمية البحرية والاستراتيجية لمنطقة البلطيق، ارتكزت مناورات بحرية لحلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة في هذه المنطقة بشكل خاص لقربها من الحدود الروسية، ففي يونيو ٢٠١٤ قامت الولايات المتحدة ودول حلف الناتو بمناورة Baltops في بحر البلطيق على خلفية الأزمة في أوكرانيا بموازاة ذلك جرت مناورات عسكرية Strike Saber تحت قيادة القوات المسلحة الأمريكية في نفس الشهر (Francis, 2018: 165).(خريطة رقم ٢)

(خريطة ٢) المجالات الجيوبوليتيكية الروسية

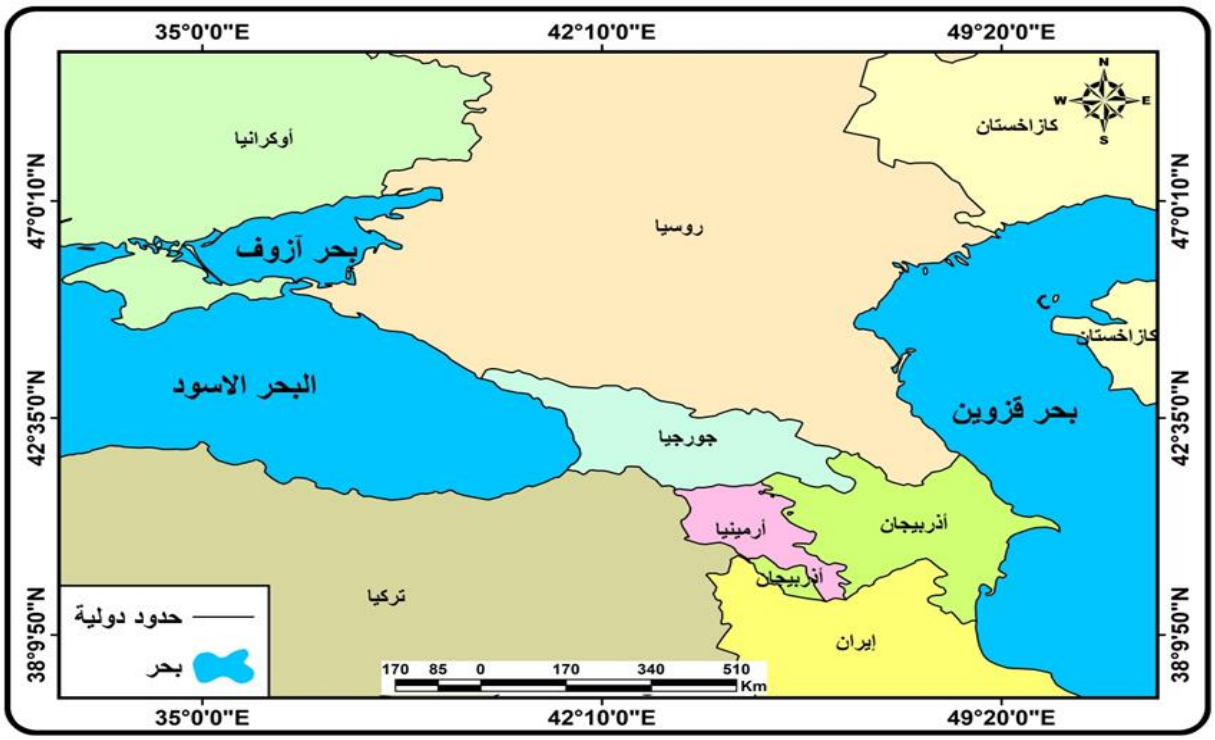

Dr. Ahmed Daifullah Algarni , Ukraine in Russian Geopolitics, Vice President of the .International Institute for Iranian Studies (Rasanah) , 15 May, 2022,p6

رابعا: الموقع الجغرافي لأوكرانيا

تعد أوكرانيا اليوم ثاني أكبر دولة أوربية من حيث المساحة بعد روسيا الاتحادية البالغة (٦٠٣٧٠٠) كم٢ ، تقع شرق أوروبا عند دائرة عرض (٣٢° – ٤٩° ش)، وتنقسم أوكرانيا إلى ٢٤ إقليما فضلاً عن شبه جزيرة القرم (التي انفصلت عنها مؤخراً) (الحمداني،٢٠١٨ : ٣٤٧). ويعد الموقع الجغرافي الاستراتيجي الاوكراني سلاح ذو حدين ، حيث انها حلقة الوصل بين قوتين عظيمتين هما القوة الشرقية "روسيا" والغربية "الاتحاد الاوربي" الذي يعد بمثابة الحليف للولايات المتحدة الامريكية (Shukara, 2017: 434). تجاور اوكرانيا عدد من الدول فهي في جنوب غرب القسم الاوربي لروسيا الاتحادية ويحدها من الشمال جمهورية بيلاروسيا ، ومن الشمال الشرقي والشرق جمهورية روسيا الاتحادية ، ومن الجنوب البحر الاسود وبحر آزوف ومن الجنوب الغربي جمهورية مولدافيا ورومانيا وهنغاريا ، ومن الغرب سلوفاكيا وبولندا ، (خريطة رقم ٣) وهذا الموقع جعل أوكرانيا منطقة تجاذب وصراع بين روسيا الاتحادية والغرب ، فضلا عن موانئ اوكرانيا الواقعة على البحر الاسود

(خريطة٣) الموقع الجغرافي لأوكرانيا

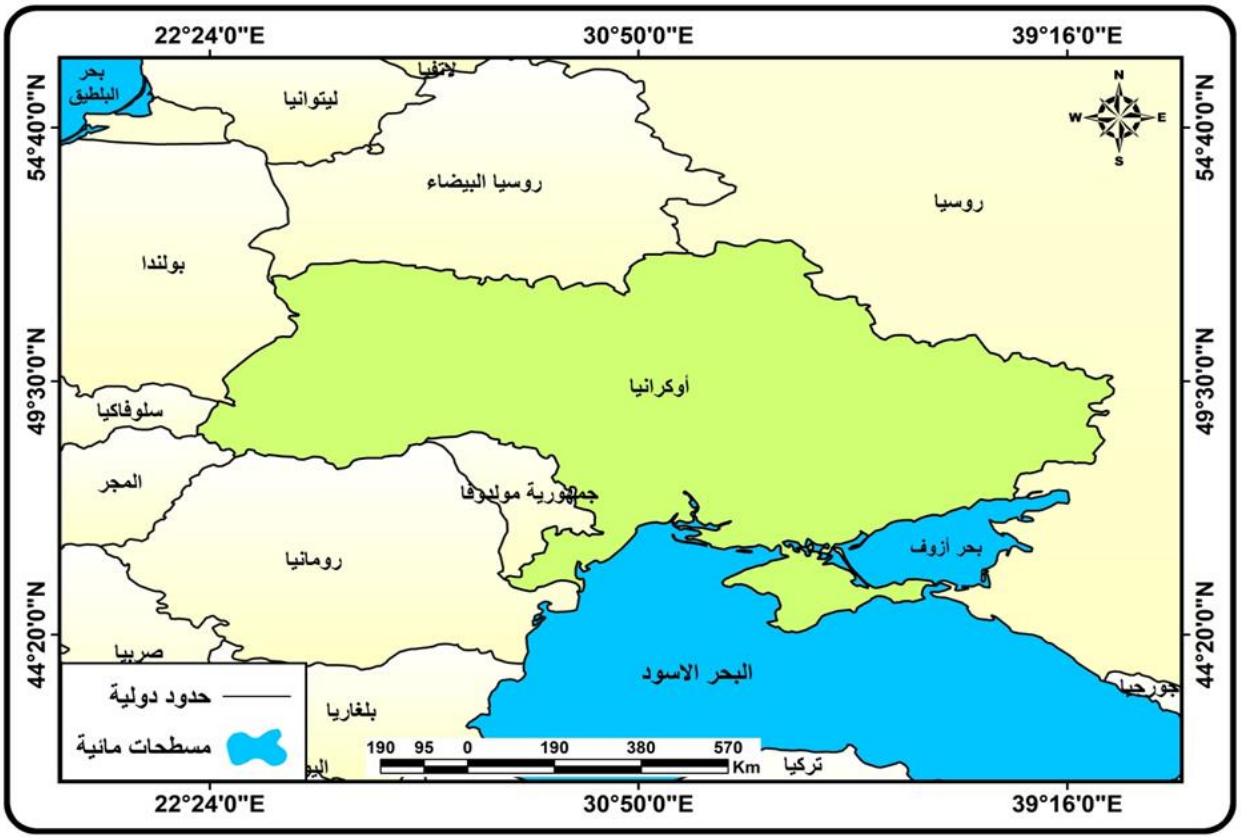

Backing Ukraine's territorial integrity, UN Assembly declares Crimea referendum invalid". UN News Centre. 27 March 2014. Retrieved 28 March 2014

وبحر آزوف تشكل البوابات الجنوبية المؤدية الى البحار الدافئة واوربا الغربية وجميع القارات (Al-Bayati, 2020: 108).وتمر عبر الأراضي الأوكرانية مجموعة كبيرة من الأنهار وهي (نهر دنيبرو ودانوب ودنيسبير وسيفيرسكي دونيتس وبيفديني بوغ وبريبيات وديسنا). فأهمية موقع أوكرانيا الاستراتيجي في شرق ووسط أوربا، هو بسبب وقوعها على السواحل الشمالية للبحر الأسود" وبحر آزوف (Al-Hamdani, 2018: 347). و تتقاسم أوكرانيا الحدود مع بيلاروسيا شمالاً بـ(٨٩١ كم) ومع المجر غرباً بـ(١٠٣) كم وبولندا (٥٢٦) كم وسلوفاكيا (٩٧) كم ومن الجنوب الغربي رومانيا (٤٣٨) كم ومولدافيا (٩٤٠) كم وجنوباً روسيا بطول حدود (١٥٧٦) كم ، وطلالتها على البحر الأسود وبحر ازورف بطول حدود بحرية (٢٧٨٢) كم وقد حددت مياهها الأقليمية بـ(١٢) ميل بحري (Algarni , 2022:13). و الجدول (١) يبين اطوال الحدود لأوكرانيا مع الدول المجاورة ، عند سقوط حائط برلين في سنة ١٩٨٩م ، تخوف الأميركيون من أن تتحد أوربا وروسيا في نظام أتحادي قد يهدّد تفوق الولايات المتحدة الأمريكية ومكانتها، لذا أخذت الدول الموجودة بين روسيا وأوربا الغربية (دول أوربا الشرقية) أهمية استراتيجية كبيرة، حيث تعد الولايات المتحدة الأمريكية أوكرانياً (ثاني أكبر دول أوربا الشرقية) من أهم الدول التي يتوجب أدخالها في حضن الحلف الأطلسي لما لها من بعد جيوسياسي .يلعب دوراً مهماً في مواجهة القوة العسكرية الروسية، وبدأت الولايات المتحدة

الأمريكية بالضغط على الأتحاد الأوربي لبدء عملية التقارب مع أوكرانيا بهدف إدخالها في الاتحاد الاوربي (Mojbel, 2014: 77).

جدول (١) اطوال الحدود لأوكرانيا مع الدول المجاورة

الدولة	طول الحدود البرية (كم)	نسبتها من مجموع اطول الحدود(%)
روسيا البيضاء	٨٩١	١٩,٤
المجر	١٠٣	٢,٢
مولديفيا	٩٤٠	٢٠,٥
بولندا	٥٢٦	١١,٥
رومانيا	٤٣٨	٩,٥
روسيا	١٥٧٦	٣٤,٤
سلوفاكيا	٩٧	٢,١
مجموع اطول الحدود البحرية	٤٥٧١	
الحدود البحرية	٢٧٨٢	

Source: Vian Ahmed Muhammad Lawand, The Ukrainian Crisis in Russian and American Policy and Its Future Dimensions, Journal of Sustainable Studies – Volume Three – Issue Three, 2021, p.184

خامسا : الاقتصاد والطاقة

أوكرانيا شكلت ركيزة أساسية في الإدراك الاستراتيجي الروسي عبر توظيف الجغرافية الأوكرانية الجيوستراتيجية في امن الطاقة بالنسبة لروسيا الاتحادية من جهة والاتحاد الأوربي من جهة أخرى، حيث تمر أكثر الخطوط الاستراتيجية الناقلة للغاز الطبيعي الروسي عبر الأراضي الأوكرانية إلى دول الاتحاد الأوربي، تصدر روسيا منها (٥٨%) من غازها إلى الدول الأوربية ، والتي تعدها إحدى ركائز الأمن القومي الروسي عبر سلسلة من الخطوط الاستراتيجية تسيطر عليها شركة (غاز بروم)، وهي إحدى أكبر شبكات أنابيب نقل الغاز الطبيعي في العالم و تعده من وسائل الضغط الرئيسي والأقتصادي على القارة الأوربية (Khalil, 2017: 152).(**خريطة رقم ٤**) وقد القت الزيادة في اسعار الطاقة بأعباء كبيرة على الاقتصاد الاوكراني العام ٢٠٠٦ وبسبب توتر العلاقة مع روسيا والاختلاف حول سعر الغاز توقفت جميع امدادات الغاز الى اوكرانيا ثم مرة اخرى خلال العام ٢٠٠٩ ، مما ادى الى نقص في الغاز في بلدان اوروبية اخرى لمرور الغاز الطبيعي من روسيا الى دول أوروبا عن طريقها وتشير التقارير الاقتصادية الى ان عام ٢٠٠٩

كاف اشبه بكارثة على الاقتصاد الاوكراني الذي تاثر بالازمة الاقتصادية العالمية ، فقد انخفض خلالها الناتج الداخلي بنسبة ١٥% وارتفعت مديونية اوكرانيا التي لم تتمكن الحكومة من ايجاد حلول مناسبة لها بسبب عدم الاستقرار السياسي الذي يلقي بظلاله على الاقتصاد أيضا (Muhammad Ali, 2017: 157).

(خريطة ٤)

شبكة أنابيب نقل الغاز والنفط الروسي عبر أوكرانيا إلى أوربا

Source : Maciej Zaniewicz, New gas pipeline geopolitics in central and eastern Europe –Special Report, Warsaw Institute ,12/21/2019, p7.

دخلت روسيا واوكرانيا في عامي(٢٠١٥ – ٢٠١٦) حرباً اقتصادية مفتوحة ، اسفرت عن وقف روسيا العمل باتفاقية التجارة الحرة وتطبيق حظر اسيراد المواد الغذائية من اوكرانيا ، وردت هذه الاخيرة بالمثل ، بتوقفها عن شراء الغاز الروسي ، بسبب ارتفاع اسعاره مقارنة بالإمدادات من الاتحاد الاوربي ، مع استمرار مروره عبر اراضيها الى بلدان اوربا، وتطور الخلاف بشأن سداد اوكرانيا ديونها البالغة ثلاثة مليارات دولار الى مرحلة التقاضي لدى المحاكم الدولية ، وفي الوقت الذي يشدد الخطاب الاعلامي والرسمي في روسيا على المشكلات الاقتصادية التي تمر بها اوكرانيا ، واستمرار انخفاض قيمة عملتها (الهريفنا) ، وزيادة معدلات التضخم

وتراجع الانتاج الصناعي ، وعدم توجيه الاتحاد الاوربي دعوة الى اوكرانيا للانضمام اليه ، تعتبر السلطات الاوكرانية انها قطعت شطاً كبيراً على طريق التكامل مع اوروبا ، وتمكنت من الحد من تبعيتها لروسيا في مجال الطاقة (Shakara, 2017: 445)

المحور الثاني : تحليل العامل الجيوبوليتيكي الروسي تجاه أوكرانيا

ارتبطت أوكرانيا بمصالح القوى الكبرى لما تتمتع به من مقومات جيوبولتيكية جعلتها وفي حقب زمنية مختلفة منطقة صراع وتنافس دولي بين الإمبراطوريات القديمة، وكما هو الحال بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأميركية اليوم ، ذلك ان أوكرانيا تعد المنطقة العازلة بين الشرق والغرب في أوربا، و تحتل أكثر من نصف مساحة البوابة الشرقية المؤدية إلى أوربا، والتي تعدها أوربا مصدر التهديدات عبر التاريخ، كما تعدها روسيا الاتحادية العمق الاستراتيجي والمجال الحيوي الذي يقربها من الغرب من جهة ويؤمن جهتها الشرقية الأوربية من اي نفوذ غربي من جهة أخرى(Khalil, 2017: 147).

ان موقع اوكرانيا يمثل جسراً أرضياً يربط دول غرب اسيا بشرق اوربا وهي بذلك تمتلك موقعاً استراتيجيا هاماً للقوى الكبرى ، فضلاً عن مقومات القوة الأقتصادية ، وهو ما دفع روسيا الاتحادية على مر العصور لارساء نفوذها فيها باعتبارها جزءاً من المجال الحيوي الروسي ، يقابل ذلك سعي الولايات المتحدة الأمريكية محاولة نزع النفوذ الروسي من اوكرانيا لكونها ترغب بمحاصرة روسيا الاتحادية وتقييد مجالها الارضي ومنع وصولها للمياه الدافئة ومحاولتها ايضاً قطع الاتصال بين الحكومة الروسية والاساطيل البحرية الروسية في سيفاستبول وطرطوس مما يسهل للقواعد البحرية الأمريكية ممارسة نفوذها بمناطق النفوذ الروسي بحرية تامة (Lund, 2021: 184)

لقد توضح التنافس الجيوبولتيكي المستمر بين روسيا والغرب بعد توسع حلف الناتو باتجاه أوربا الشرقية سيما المناطق والدول العازلة ، وانضمام اغلب تلك الدول إلى الاتحاد الأوربي /حلف الشمال الأطلسي، مما كان له أثراً كبيراً في ثبات استراتيجيات الطرفين تجاه بعضهما برغم اختلاف السلوك والسياسات القائمة على احتواء روسيا ، وردود الفعل الروسية تجاهها (Al-Hamdani, 2018: 351).

ولكي يتم تحليل العامل الجيوبوليتيكي الروسي في الحرب على أوكرانيا يتوجب استكشاف المنظور الجيوبوليتيكي الروسي تجاه أوكرانيا اولاً ، ثم العامل السياسي الروسي في شبه جزيرة القرم باعتبارها المنطقة التي ضمتها روسيا اليها في تلك الحرب ، واخيراً عرض التحدي الغربي تجاه روسيا قبل الوصول الى سيناريوهات مستقبلية جيوبوليتيكية حول ذلك.

أولا : المنظور الجيوبوليتيكي الروسي وتأثيره على اوكرانيا

وصف زيغنيو بريجنسكي وفق نظرية المحيط الأوراسي في كتابه (رقعة الشطرنج الكبرى) تقسيم أوراسيا الى دول (اللاعبون الجيوستراتيجيون، والمحاور الجيواستراتيجية) ، إذ **عرف دول المحور الجيواستراتيجي** بانها الدول التي تتشكل أهميتها من خلال موقعها الجغرافي – الحيوي، وليس من نفوذها ودوافعها، وتحدد الجغرافية والإرث الحضاري هذا المحور بالنسبة للاعبين الجيواستراتيجيون، باعتباره مفتاح الوصول إلى تحقيق مصالح هذا اللاعب الاستراتيجي في إقليم ما ، وأيضا يمكن إن يمارس دوراً رادعاً لهذا اللاعب إذا ما تم توظيفه من قبل لاعب آخر من غير إقليم عبر سياسات واستراتيجيات عديدة تستميل هذا المحور للعب دور قد يهدد مصالح اللاعب الاستراتيجي في الإقليم، وبذلك تنبع أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا، إذ تعد روسيا الاتحادية هي اللاعب الاستراتيجي هنا، وأوكرانيا بوصفها محور استراتيجي (Khalil, 2017: 150) .

تحتل أوكرانيا موقعا حساسا وفاصلا أكبر بين روسيا وأوروبا، وتشكل الحافة الأكثر غنى جيو استراتيجيا بين الشرق والغرب، إذ تحمل أكثر من نصف مساحة البوابة الشرقية المؤدية إلى أوروبا، كما أنها تمثل قناة التوسع للمجال الحيوي لروسيا، فهي الخاصرة الروسية الغربية من جهة أوروبا، وفي الوقت نفسه ظلت الممر الرئيس للتهديدات الأوروبية لروسيا قديما وحاضراً وحتى مستقبلا ، وهي فروض الجغرافيا التي لا يمكن تغييرها أو ازاحتها جانبا في التفكير الاستراتيجي(Abdel Hamid, 2019: 128).

لقد استشعرت روسيا التحديات الجيوبوليتيكية تجاهها منذ ان أصبحت معظم الدول الكبيرة في أوربا الشرقية والوسطى في عضوية كاملة في الاتحاد الأوربي وحلف الناتو كبلغاريا وسلوفاكيا ، وبقيت دولتان كي يستكمل الغرب ضمهما اليها حارماً روسيا من نفوذها في المنطقة المركزية والدولتان هما أوكرانيا وبيلاروسيا، فعقد الاتحاد الأوربي اتفاقاً للشراكة مع أوكرانيا في آذار ٢٠١٤ من اجل مد نفوذه إلى أكبر دول أوربا الشرقية مساحة وأكثرها سكاناً وذات عمق جغرافي كبير نحو روسيا(Al-Hamdani, 2018: 352).

تصدرت أوكرانيا أولويات الاستراتيجية الخارجية لروسيا سيما في عهد الرئيس (بوتين) ، فكان توجهه لتكوين أتحاد أوراسي قوي (المجموعة الأوراسية الأقتصادية) التي ضمت أضافة إلى لروسيا الاتحادية دول (كازاخستان ، وروسيا البيضاء ، وقيرغستان ، وطاجكستان) على ان ينضم إليها لاحقاً معظم جمهوريات الأتحاد السوفياتي السابق ومنها أوكرانيا، كما تم في سنة (٢٠١٠) تاسيس أتحاد كمركي مع روسيا البيضاء وكازاخستان على أمل أن تنضم أليه كل الدول الآنفة الذكر، وهذا الاتحاد يشكل ثقلاً موازياً للاتحاد الأوربي سيما أنه يتمتع بوزن اقتصادي هام ومتصاعد ودور فاعل في الأنتاج العالمي للطاقة كونه يمتلك ثلث مخزون العالم من الغاز الطبيعي (Algarni , 2022:10).

كان واضحاً للقيادة الروسية منذ الثورة البرتقالية في عام ٢٠٠٤ التي ايدتها واشنطن ، ان الولايات المتحدة الامريكية تزاحم النفوذ الروسي وتسعى الى تقويضه في اوكرانيا ، من خلال ضمها الى المنظومة الأمنية لحلف شمال الاطلسي من ناحية ، ومن ناحية اخرى كانت روسيا تخشى الشراكة الاوكرانية بين الاتحاد الاوربي والجمهوريات السوفيتية الست السابقة (اوكرانيا وبيلاروسيا وارمينيا واذربيجان وجورجيا ومولدوفا) فهو

محاولة لعزل هذه الجمهوريات عن موسكو وبالتالي اجهاض حلم بوتين الطموح الى ضم الجمهوريات السوفيتية السابقة في اطار اتحاد اقتصادي على غرار الاتحاد الاوربي من دون المساس بسيادة هذه الدول (Shakara, 2017: 443).

وظلت روسيا تنظر بحساسية شديدة الى أن سقوط أوكرانيا في حضن الغرب يقلل الخيارات الجيوسياسية الروسية في المنطقة ، فالرئيس بوتين المتعلق بماضي الأتحاد السوفيتي ومجالاته الجيوبوليتيكية، ويملك طموحات عودة روسيا كقوة تحل محل الأتحاد السوفيتي في المسرح الدولي ، وتقارع الغرب ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية التي تتفرد بالهيمنة على العالم ، ظل منذ توليه الرئاسة عام ٢٠٠٠ وحتى مع تصاعد وتيرة الازمة الأوكرانية، وكأنه كان مستعداً للسيناريو الأوكراني ويتوقعه ، فمنذ أندلاع الأزمة الأوكرانية ، وهو على اتصال بهذه الأزمة و حاول التأثير فيها (Mojbel, 2014: 78).

وبحسب وصف بريجنسكي تتضح أهمية أوكرانيا الجيوستراتيجية بحكم المحورية الجغرافية التي تتمتع بها كونها تقع بين لاعبين جيوستراتجيين هما روسيا الاتحادية والاتحاد الأوروبي الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأميركية وتنافس هذين المحورين على السيطرة والنفوذ عليها، حيث تعد بوابة روسيا الاتحادية على البحر الأسود وأوروبا الشرقية، كما تشكل مناطق واسعة من أوكرانيا ولاسيما الجزء الشرقي منها امتداداً طبيعياً للجزء الغربي من روسيا الذي يحتضن العاصمة موسكو، فضلا عن إن ٨٥% من الغاز الروسي (مصدر الطاقة الروسية وعماد اقتصادها وتأثيرها في الاتحاد الأوربي) يمر عبر الأراضي الأوكرانية وهو ما يرتبط بتأمين مستلزمات امن الطاقة بالنسبة لدول الاتحاد الأوربي (Khalil, 2017: 151).

و ما يفسر الاعتقاد بـ "الطابع الخاص" للعلاقات الروسية الأوكرانية ؛ ان روسيا ولأسباب تاريخية كانت تنظر الى أوكرانيا قبل أزمة ٢٠١٤ كدولة قريبة عضوياً لها وبان أوكرانيا دولة بالكاد تستطيع أن تدير سياسة خارجية مستقلة، ولكن الواقع كان يؤكد على انها ساحة للتنافس بين روسيا والغرب، لقد كانت روسيا ترسم صورة نمطية عن سلوك "واجب "لأوكرانيا في علاقاتها الخارجية ، واعتبرت أفعالها التي لا تتطابق مع هذه الصورة النمطية غير ودية (Kolosov , 2018 : 8) .

اما التفسير الجيوبوليتيكي الروسي فهو ان أوكرانيا باختصار تمثل حلقة مهمة واستراتيجية في تواصل روسيا الاتحادية مع العالم، وهي تعمل على فك العزلة عن روسيا وتعزيز وجودها على الساحة الدولية، بسبب كونها تستأثر بغالبية سواحل البحر الأسود، وفي حالة خروج أوكرانيا عن دائرة النفوذ الروسي، ستعمل على عزل روسيا عن أوروبا ويفرض عليها تكريس طابعها الاسيوي وتقليص نفوذها وطابعها الأوروبي، حيث وصفها المفكر الاستراتيجي الروسي الكسندر دوغين بانها تتحول إلى ما يشبه مركزاً أمنيا بالنسبة إلى الغرب، في منطقة متقدمة داخل القطب الشرقي، أو بتعبير آخر أصبحت تقترب من أن تؤدي دور حصان طروادة للغرب في دائرة النفوذ الروسية، وهو ما جعل دوغين يؤكد ضرورة الحيلولة دون حدوث ذلك، وهو ما يتبناه الرئيس بوتين (Abdel Hamid, 2019: 128).

لقد كان ضغط العامل الجيوبوليتيكي على روسيا واضحاً وادى ذلك للتدخل بشؤون أوكرانيا بشكل مباشر وتمثل في شبه جزيرة القرم أو خيارات أخرى متمثلة في الجانب السياسي والدبلوماسي من مفاوضات أو خلافه ، فكان لها دوراً كبيراً في الأزمة الأوكرانية (٢٠٠٤-٢٠١٤) بما فيه منع التقارب الأوكراني مع الأتحاد الأوربي أبان الثورة البرتقالية عبر الضغط عليها بعقوبات اقتصادية بقطع مبيعات الغاز الروسي ورفع أسعاره بين عامي (٢٠٠٤ و ٢٠٠٦) وهو ما أضطر الحكومة الأوكرانية للتراجع عن قرارها بالأنضمام إلى الأتحاد الأوربي و أشعل الشارع الأوكراني بمظاهرات تمخضت عن عودة (يانوكوفيتش) المدعوم من قبل روسيا إلى الحكم عام (٢٠١٠) حصلت روسيا بموجبه على تمديد أستئجار القاعدة البحرية الأوكرانية في ميناء سيفاستوبول لمدة ٢٥ سنة مع أعتماد أسعار تفضيلية لكميات الطاقة الموردة لأوكرانيا ، ثم وبعد تدهور الأوضاع الأقتصادية وعلماً منها لحاجة أوكرانيا للمال قدمت روسيا عدة أمتيازات منها قرض بمقدار ١٥ مليار دولار وتخفيض بأسعار الغاز تصوراً منها أن هذا كافٍ في إبعاد الغرب وتهدئة الوضع وتفادي وقوع أضطرابات (Lund, 2021: 195) .

ثانيا: العامل الجيوبوليتيكي الروسي في شبه جزيرة القرم

امتد تاريخ شبه جزيرة القرم مع الإسلام العثماني طوال خمسة قرون وكان معظم سكانها من أصول تركية، أطلق عليهم لاحقا اسم "التتار"، وتسمية "القرم" تترية تعني القلعة، لكن الروس استولوا عليها سنة ١٧٧٣ ، ومثّل ذلك انتقالة كبيرة في مصير روسيا، التي أصبح لها للمرة الاولى ميناء في المياه الدافئة وأسطول قرب المتوسط ، وإن كان لروسيا ثلاث بوابات رئيسة : وسط آسيا ، والقوقاز، وأوكرانيا ، فإن الأخيرة هي أخطرها على الأطلاق (Mujbil, 2014: 74)

في العام ١٩١٧ اعلن التتار انفصالهم عن جمهورية القرم المستقلة برئاسة "نعمان حيجي خان" بعد ان استغلوا ثورة اكتوبر الروسية للاطاحة بحكم القياصرة ، الا ان الشيوعيين وضعوا حداً لها ، من خلال اعلان حكومة الاتحاد السوفيتي عن جمهورية القرم ذات الحكم الذاتي عام ١٩٢٠م وخلال الحرب العالمية الثانية نفى "ستالين" "التتار" من شبه جزيرة القرم الى سيبيريا بسبب تحالفهم مع "النازيين" ، الا انهم عادوا بعد انهيار "الاتحاد السوفيتي " الى القرم في مطلع التسعينات ، علما ان نسبة التتار ١٢% من اجمالي سكان القرم . (Shakara, 2017: 446).

يشكل الروس والمنحدرين من أصول روسيا نسبة تقارب نحو ٥٨% من إجمالي عدد السكان البالغ ٣ مليون نسمة وفق إحصائية أعدت عام ٢٠٠١ ، بينما يشكل الأوكرانيون نسبة تقارب ٢٤%، ويشكل تتار القرم نسبة ١٣%. وكانت جمهورية القرم واحدة من دول الاتحاد السوفيتي إلى العام ١٩٥٤، حيث انتقلت ملكية إقليم شبه الجزيرة في ٢٦ نيسان ١٩٥٤م من جمهورية روسيا إلى جمهورية أوكرانيا، عندما قرر الزعيم السوفييتي نيكيتا خروتشوف (الأوكراني الأصل) اهداءها إلى موطنه الأصلي بما في ذلك القاعدة الرئيسة لأسطول البحر الأسود السوفيتي (Henrikson, 2022 : 15).

تمتاز شبه جزيرة القرم بأهمية استراتيجية لوقوعها على البحر الاسود بالقرب من مضيق البسفور والدردنيل اللذان يربطانه بالبحر الأبيض المتوسط من جهة ، والقوقاز من جهة أخرى **(خريطة رقم ٥)**، ويتمتع الإقليم بغالبية

(خريطة ٥) الموقع الجغرافي لشبه جزيرة القرم

Mohamed Nasr and others, Atlas of the World, Lebanon Library for Publishing, 2010, pg.9

سكانية ذات أصل روسي، و وفيه ميناء سيفاستبوبول وهو حيوي بالنسبة إلى روسيا الاتحادية وطريقها إلى مضيق البسفور، ويمثل هو وميناء طرطوس في سوريا، نقطتي ارتكاز لروسيا على البحر الأبيض والأسود وطريقها الوحيد إلى المياه الدافئة . هذه من ناحية، أما من الناحية الأخرى، فإن شبه جزيرة القرم لها أهمية اقتصادية كبيرة لروسيا الاتحادية، إذ تبلغ مساحتها (٢٦) الف كم^{٢} ألف كم، وتتمتع بثروات طبيعية مهمة، سواء كانت معدنية أو زراعية (Rezvani 2020 : 880).بعد انهيار وتفكك الأتحاد السوفييتي عام ١٩٩١، اثيرت مشكلة تبعية شبه جزيرة القرم بعد أن اصبحت جزءا من أوكرانيا المستقلة، واعيد الحكم الذاتي لها، ومع وجود توترات انفصالية خلال عقد التسعينات، ظلت القرم تتمتع بحكم ذاتي ضمن اوكرانيا المستقلة، مع

اعتراف روسيا بها وتعهدها بالحفاظ على وحدة أوكرانيا في مذكرة بودابست للضمانات الامنية الموقعة عام ١٩٩٤، من قبل روسيا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة الى جانب اوكرانيا التي تخلت بموجب هذه الاتفاقية عن أسلحتها النووية ، كما عقدت روسيا اتفاقيات مع الحكومة الأوكرانية لإبقاء اسطولها بالبحر الاسود في سيفاستوبول في القرم كان اخرها عام ٢٠١٠ تم بموجبه بقاء الأسطول الروسي إلى غاية عام ٢٠٤٥ من قبل يانكوفيتش الموالي لروسيا الاتحادية مقابل مبلغ مئة مليون دولار سنوياً وتخفيض سعر الغاز بنسبة (٣٠%)(Muhammad Ali, 2017: 165).

في ٢١ شباط ٢٠١٤ ارتكبت الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوربي خطأً كبيراً في تحريضها على الانقلاب الاوكراني واسقاط الاتفاقية الموقعة بضمانة الاتحاد الاوربي للحل السياسي ، فاعادت العالم الى اجواء الحرب الباردة ووضعته على مفترق سياسي وعسكري خطير منذ ان طلب الرئيس فلاديمير بوتين من مجلس الاتحاد الروسي السماح بارسال قوات عسكرية روسية الى اوكرانيا واستفاقت الدول الغربية على وقع الكارثة الاستراتيجية ، فالاسطول الروسي في قاعدة سيفاستيبول يضم ٣٠٠ سفينة حربية ويعمل في القاعدة ٢٦ الف عسكري روسي ، فأعلن الرئيس بوتين استعداده للدفاع عن الشرعية القانونية والدفاع عن المواطنين ذوي الاصول الروسية ، واتاحت الازمة الاوكرانية الفرصة للرئيس فلاديمير بوتين للمضي في استراتيجيته الهادفة الى فصل شبه جزيرة القرم عن اوكرانيا وكانت روسيا تمتلك عنصرين مضمونين لتحقيق هذا الهدف هما ولائهما الكامل لبرلمان وحكومة القرم المحلية وأجهزتها الامنية والإدارية (Al-Bayati, 2020: 115).

كان لاستحضار علاقة عاطفية ثقافية مع الوطن الام دور هام في التدخل الروسي العسكري في القرم ، لأن الحاجة إلى حماية المواطنين الروس كانت تقوم على أساسها التمييز اللغوي المزعوم للناطقين بالروسية من قبل السلطات الأوكرانية ، اذ شكلت تهديدات الحكومة الأوكرانية للمتحدثين بالروسية والأقليات الدينية في أوكرانيا وخصوصاً في القرم فحوى خطابات بوتين فيما سبق التدخل (Pieper,2018: 17).

من جهة أخرى فقد كان امل حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية أن يبقى البحر الأسود مغلقاً بوجه روسيا ، سيما بعد صعود موالين لها إلى دفة الحكم ، حيث يلعب الاسطول الروسي دوراً هاماً في الحروب الأقليمية سيما الحرب الروسية الجورجية عام ٢٠٠٨ والتطورات المتعلقة بالازمة السورية ، مما اثار ذلك قلق روسيا من خطر فسخ اتفاقية الاسطول الروسي في القرم مما دفعها إلى دعم الطموحات القديمة لسلطة الحكم الذاتي في القرم لنيل الاستقلال واجراء استفتاء عام في شبه جزيرة القرم ومدينة سيفاستوبول حيث يشكل الروس نسبة (٧٠%) (Lownd, 2021: 181) .

إن لجوء روسيا إلى القوة المسلحة في أوكرانيا واحتلالها للقرم هي دلالة لتأكيد العامل الجيوبولتيكي ذلك ان أوكرانيا لها أهمية كبيرة عند الروس فهم يذكرون أجدادهم الذين سعوا من أجل الحفاظ على أوكرانيا ضمن الإمبراطورية الروسية ثم وريثها الاتحاد السوفيتي(Al-Hamdani, 2018: 351).

ثالثا: التحدي الجيوبوليتيكي الغربي لروسيا في اوكرانيا

تعد أوكرانيا" خاصرة روسيا الرخوة وقلب الدفاع العسكري عنها" ، وتدرك روسيا الاتحادية تماماً تلك الثغرة في امنها القومي اذا ما تم توظيفها من قبل القوى الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية، إذ تشكل أوكرانيا أهمية جيوستراتيجية لها أبعاد (سياسية، اقتصادية، عسكرية، لوجستية) لا تقتصر على الدفاع عن المجال الحيوي الروسي فقط، بل تؤثر في حركة التوازنات الإقليمية والعالمية، فهي تشكل نقطة مفصلية في التنافس الأمريكي – الروسي في أوروبا بشكل مباشر ومنطقة الشرق الأوسط بشكل غير مباشر، وفق معادلة تعتمد على الحتمية الجغرافية في التنافس العالمي (Henrikson, 2022 : 19).

لقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على توظيف تطور الأحداث في أوكرانيا ، من أجل جر روسيا الاتحادية إلى نزاع عالمي واضعافها وتفكيكها، في ظل محاولات الجانب الأمريكي لزرع النزاع داخل البيت الأوروبي، ما قد ينذر أيضا بمزيد من الاستعصاء على مسرح التفاوض الدولي، وقد يؤدي تفاقم الأزمات الدولية إلى خروج الوضع عن السيطرة خاصة عند اشتعال الحرب على مقربة من الحدود الأوروبية، فإن الأوروبيون هم الذين سيدفعون الثمن، في ضوء تذكير فلاديمير بوتين غير مرة، بأن روسيا الاتحادية دولة نووية ولن تخضع للابتزاز (Abdelhamid, 2019: 137).

ومن جهتها فقد اظهرت أوروبا اهتماما اكبر بمسألة انضمام اوكرانيا لعضوية الاتحاد الأوربي وضمن السياقات المعمول بها في هذا الخصوص ، وهي في ذلك تنطلق من الاهمية التي تمثلها اوكرانيا بالنسبة الى اوروبا من الناحية الأستراتيجية والاقتصادية، اذ يتميز موقعها الجغرافي الذي يؤهلها لتكون ممراً للتجارة وانابيب الغاز بين روسيا والاتحاد الاوروبي ، فضلا عما تمتلكه من ثروات كبيرة وقدرات انتاجية صناعية وزراعية ، ويمكن لاوكرانيا الديمقراطية والقوية اقتصادياً ان تساهم في تعزيز الامن في اوروبا الوسطى والشرقية وايضا في مجمل الفضاء الاوروبي الآسيوي (Muhammad Ali, 2017: 158).

وعندما تنظر روسيا الى تكريس مصالح الغرب ونفوذه في أوكرانيا فهو بمثابة تكريس نفوذه على شمال البحر الأسود وعلى شبه جزيرة القرم ذات الأهمية الاستراتيجية فضلا عن وجود الحليف التركي للغرب في الساحل الجنوبي للبحر، ورومانيا وبلغاريا في الساحل الغربي، وجورجيا في الجزء الشرقي لساحل البحر نفسه ، وبالتالي فان وجود روسيا سوف ينحسر في الساحل الشرقي للبحر الأسود ، وإذا نجحت مساعي الغرب في إدماج أوكرانيا في المنظومة الاقتصادية والأمنية الأوربية الأطلسية فقد أوصلت النفوذ الغربي إلى حدود روسيا ، وبدلا من إن تمنح المنطقة المركزية (منطقة قلب الارض) ميزة استراتيجية للقوة البرية الروسية فان الغرب قد حرم روسيا منها، و حول البوابة الشرقية إلى معبر تهديد باتجاه الشرق (Al-Hamdani, 2018: 351).

ووفقاً لهذه المعادلة فأن خيارات روسيا كان قد اوضحها الرئيس فلاديمير بوتين بقوله في مؤتمر قمة الدول الثمانية عام (٢٠٠٨م) للرئيس الامريكي بوش الابن "عليك ان تفهم يا جورج ان اوكرانيا ليست دولة ، فجزء من اقليمها يقع في اوربا الشرقية والجزء الأكبر منها ملك لنا" .. وهو نفس الكلام الذي أعقب التوقيع على

اتفاقية ضم القرم للاتحاد الاوربي ، حيث أشار الى ان شبه جزيرة القرم جزءاَ لايتجزأ من روسيا وتم منحها لاوكرانيا في عام (١٩٥٤م) ، لذا تعد الضربة الاستباقية الروسية باستعادة شبه جزيرة القرم والأجزاء الشرقية والجنوبية من اوكرانيا ، رسالة روسية للغرب والولايات المتحدة الامريكية ، بأن جوارها القريب خطوط حمراء لا يمكن التساهل أو التفاوض بشأنها ، لأنها جزء لا يتجزأ من مجالها الحيوي (Shukara, 2017:451).

ويلاحظ ان روسيا ترد على السياسات والاستراتيجيات الأمريكية لكونها تستهدف مصالحها وتسعى إلى إضعاف مكانتها الاوراسية، وهذا ما يؤكده اثنان من علماء الجغرافية السياسية في روسيا (بوجاتورف وفكريمنبوك) ، ويضيفان بان الولايات المتحدة الأمريكية ودول حلف الناتو تسعيان لتدمير الأسس الجغرافية السياسية والتي تسمح لروسيا على الأقل من الناحية النظرية في أن تأمل إن تكسب وضع القوة الثانية في سياسات العالم" (Khalil, 2017: 163).

ومن جهة أخرى تلقي موسكو اللوم على القيادة الأوكرانية في رغبتها في إشراك البلاد في الناتو على الرغم من الرأي السلبي لمواطنيها، ففي عام ٢٠٠٨عارض ٤٥٪ من الأوكرانيين هذا المنظور تماماً ، و عارضه ١٤٪ جزئياً بينما دعم الانضمام إلى الناتو بشكل كامل من قبل ١٠ ٪ فقط من الاوكرانيين ، فالشعب الاوكراني يدرك إن العضوية في الناتو ستضعه في موقع ثانوي امام القوى الرئيسية فيه واولها الولايات المتحدة، بينما هو يتسبب في أضرار جسيمة للعلاقات الروسية الأوكرانية ذات الأهمية الاقتصادية لاوكرانيا (Kolosov , 2018 : 10).

ان ما يمكن قوله عن الأهداف الجيوبوليتيكية التي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين تتجلى في الآتي (Mojbel, 2014: 78):

- خلق خاصرة جيوبوليتيكية تستنزف قدرات روسيا وهي أوكرانيا بضمها للاتحاد الأوربي بالشكل الذي يسمح بوجود قاعدة عسكرية في إطار الحلف الأطلسي وتهديد القاعدة العسكرية الروسية في ميناء سيفاستبول المنفذ الحيوي لروسيا على البحر الأسود .

- تصبح أوكرانيا التابعة للاتحاد الأوربي بقواعدها العسكرية التابعة للحلف الأطلسي فضلاً عن محاولات تكرار نفس السيناريو مع جورجيا أقصى الشمال الشرقي لتركيا عضوة الأطلسي .

- محاصرة روسيا ، وتقليص مساحات نفوذها ، بإثارة التوتر على حدودها وأشغالها بنفسها الأمر الذي يخرجها مضطرة من خريطة الشرق الأوسط كقطب فاصل ومؤثر .

لذا تدرك روسيا الاتحادية إن هدف الولايات المتحدة الأميركية من التقرب إلى دول المجال الحيوي الروسي لاسيما أوكرانيا هو لعرقلة استكمال مستلزمات بناء المكانة الروسية والسيطرة الروسية الاوراسية هي إحداهم مقومات هذه المكانة الروسية. وفق ذلك وقفت روسيا الاتحادية بحزم تجاه تلك السياسات والاستراتيجيات عبر الرد السريع والحازم في جورجيا عام ٢٠٠٨ وفي أوكرانيا عام ٢٠١٤ ، لتحقيق هدفين الأول: يتمثل تنبيه بقية

الدول الشرق أوربية بان أي ضرر قد يهدد الأمن الروسي ومصالحها سيكون الرد قاسي، والثاني: يتمثل بتوجيه رسالة قوية إلى الولايات المتحدة والأميركية والغرب بأن روسيا الاتحادية قادرة على المواجهة والدفاع عن مصالحها الحيوية وأمنها القومي، بل أنها تمتلك مقومات الرد وتهديد مصالحهم في مناطق أخرى في العالم (Khalil, 2017: 164).

كان الرد الروسي مع بداية عام ٢٠٢١ ، فبعد التحولات الجيوسياسية العالمية مع الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، بدأت روسيا في نقل القوات العسكرية إلى الحدود مع أوكرانيا وشبه جزيرة القرم ، حيث كان الأمين العام لحلف الناتو (ين سستولتنبرغ) ، يشير الى أنه أكبر حشد للقوات الروسية منذ ضم القرم فجاء التحول الجيوسياسي الآخر وتوترت العلاقات الأمريكية مع روسيا مرة أخرى وبشكل ملحوظ ، بين كانون الثاني ونيسان من عام ٢٠٢١ و بين الأشهر الأخيرة من ذلك العام و بداية عام ٢٠٢٢ تطور الصراع بين روسيا وأوكرانيا تصعيداً أدى إلى التوغل الروسي إلى أراضي الأخيرة ، التي بدأت في ٢٢ شباط من العام ٢٠٢٢ التي شكلت تحديات مهمة لدول الغرب والشرق ، وتهديدات خطيرة للاتحاد الأوربي وحلف الناتو لعجزهما عن وقف التوغل الروسي(Palacio , 2022 :22) .

وبالرغم من ظهور الاتحاد الأوروبي كقوة "جيوسياسية" كبيرة في مواجهة الاجتياح الروسي لاوكرانيا فان هذه القوة تعتمد على الوحدة ، و ليس من المسلم به أن الوحدة قد تتحمل حربًا طويلة الأمد في أوكرانيا أو ان تتفكك الجبهة عبر الأطلسي، و هو ما سيكون الاختبار الحقيقي لوجود الاتحاد في المستقبل سيما مع تصاعد المخاطر من تداعيات الحرب في أوكرانيا (Alcaro, 2022 : 5)

كانت أولى تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا ان أعاد أمن الطاقة إلى مركز اهتمام العالم والاتحاد الأوربي خاصة، لما شكله ذلك من تهديد لمصالح دوله ورفاهية شعوبه ، كما تم التركيز على سياسات الطاقة للدول المنتجة ، وسلط الضوء بقوة على نفوذ الوقود الأحفوري الروسي على اوربا ، و تم التعبير عن مخاوف مماثلة فيما يتعلق بدبلوماسية الطاقة و كيفية التعامل مع القوى النفطية الكبرى الأخرى وتشكيل سياسات استيراد متنوعة من الطاقة وكل ذلك يمثل تحديات جيوسياسية جديدة لم تكن بادية للعيان (Boute, 2022: 750).

ومع زيادة المخاطر بسبب مستويات عالية غير مسبوقة من التوترات الجيوسياسية بين روسيا والدول الغربية ، فان التداعيات غير المباشرة لسلع أخرى غير الوقود قد تلحق اضراراً أخرى بكل دول العالم ولا سيما الدول الفقيرة ، مما قد يكون له تأثير محتمل على الغذاء كما أن لها تأثيرًا محتملاً على التضخم والإنفاق الاستهلاكي والاقتصادي في البلدان النامية والفقيرة (Wang & et all ,2022 :17).

اخيراً وفي مبادرة جيوسياسية مقترحة من قبل الحكومة الروسية بعد اجتياحها للأراضي الأوكرانية بما سمي بـ "الصفقة الكبرى" بين روسيا وحلف الناتو؛ ففي مقابل وقف روسيا للقتال، تعترف أوكرانيا بسيادتها على شبه جزيرة القرم ، وتضمن حقوق الأقليات الناطقة بالروسية في جميع أنحاء أراضيها ، كما تتعهد بعدم الانضمام إلى حلف الناتو أبداً، وان ينسحب الحلف قواته من الدول الأعضاء التي كانت في السابق جزءًا من الاتحاد

السوفيتي ، وان ترفع العقوبات الاقتصادية وغيرها من العقوبات التي كانت قد فرضت على روسيا بعد استيلائها على شبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤وبعد ذلك أيضاً، وكان رد الفعل في الغرب أن الاقتراح كان غير متوازن إلى درجة أنه "غير واقعي". أما بالنسبة للمسألة الخاصة المتعلقة بانضمام أوكرانيا للحلف فهو متروك لشعب أوكرانيا لتقرير مستقبله (Henrikson, 2022 : 14).

رؤية مستقبلية لنهاية الحرب الروسية – الأوكرانية :

يمكن تصور عدد من السيناريوهات الحاصلة في المستقبل المنظور مع استمرار الحرب الروسية الأوكرانية وفق ما تم طرحه في البحث وكما يلي:

١- **الهيمنة الروسية على المجال الأورواسيوي** : ان صورة حدوث تغيير تاريخي جوهري في ميزان القوى الدولية وارد من حيث التحول الجيوبوليتيكي، فالقوة المهيمنة المتحدية (روسيا) ليس لديها خيار آخر غير حرب الهيمنة ،لأن البدائل المتاحة لدولة تتضاءل قوتها هي الدخول في حرب عندما تكون الضغوطات الجيوبوليتيكية المحيطة بها هائلة ومستفزة.

٢- **تقلص المجال الجيوبوليتيكي الروسي :**

في ظل استمرار الحرب في أوكرانيا لفترة أطول مما توقعته القيادة الروسية ، فان ذلك سيزتنزف القدرات العسكرية الروسية ، لاسيما وان الروس قد عانوا من تبعات الاستنزاف في الحقبة السوفيتية في حرب أفغانستان ، وسيكون لذلك نتائج عكسية على الاستراتيجية الروسية ونظريتها الاورواسيوية، بل وستتاثر نظرية (قلب العالم) الجيوبوليتيكية وقد تتفرع عنها نظريات أخرى تمتد عنها او تناقضها ، ويصاحب ذلك تراجع دور روسيا في الشؤون الدولية بصفة مؤقتة على أقل تقدير.

٣- **تنشيط الدور الجيوبوليتيكي لحلف شمال الأطلسي**

في الوقت الذي بدا فيه أن التحالف العسكري الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، وجد نفسه أمام مهمة جديدة في أوكرانيا ، فانه من الجائز ان يقرر الحلف زيادة الدوريات الجوية للتحالف ومناوراته العسكرية في بولندا ودول البلطيق، ، ومن جهة أخرى فان الشكوك في النوايا الروسية ستجعل السويد وفنلندا المحايدتان يسرعان الخطى للانضمام لحلف شمال الأطلسي إدراكا منهما أن روسيا قد تمثل خطراً محتملاً عليهما، مما يخلق واقع جيوبوليتيكي جديد في اوربا .

٤- **العودة إلى أجواء الحرب الباردة :**

إن أستمرار الحرب والتهديد الروسي باستعمال السلاح النووي يعيد الاذهان الى أزمة خليج الخنازير التي وقعت سنة ١٩٦١ ، بين الأتحاد السوفيتي آنذاك والولايات المتحدة الأمريكية والتي وصلت وقتئذ لحافة الهاوية قبل أن يتراجع الطرفان وتنتهي الأزمة بتعهدات دولية متبادلة.

٥- أستعادة سيطرة اوكرانيا على شرق البلاد :

في ضوء الدعم الغربي العسكري لاوكرانيا وتمكن الجيش الاوكراني من استعادة الجزء الأكبر من المدن التي خسرتها ولا سيما في القرم فان السيناريو المتوقع هو انتصار أوكرانيا والمحور الغربي على روسيا وانكفائها داخل حدودها الدولية ، وتهميش دورها الدولي مع تقزم مجالها الجيوبوليتيكي.

٦- تقسيم أوكرانيا :

ويعني هذا السيناريو تقسيم أوكرانيا إلى دولتين ، على غرار الحالة الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية ، وتقسيم المجال الجيوبوليتيكي بين روسيا واوربا وبقاء حالة الصراع الروسي – الغربي وامتداده الى دول أخرى في آسيا.

٧- سيناريو السلام :

يقوم هذا السيناريو على تطوير أتفاق جنيف الذي تم بين روسيا والغرب ومراعاة حقوق روسيا من جهة وأوكرانيا من جهة أخرى على ان تبقى أوكرانيا خارج النفوذ الروسي والغربي معاً .

الخاتمة:

تشهد بيئة النظام الدولي حراكا جيوبولتيكيا يهدف للسيطرة على المناطق والدول الحيوية في العالم، وما حرب روسيا في أوكرانيا (٢٠٢٢) والتي سبقتها ضم شبه جزيرة القرم لروسيا الاتحادية، إلا الواجهة المتقدمة للصراع الجيوبولتيكي العالمي بين الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية وروسيا الاتحادية، وهو ما يجسد نزوح النظام الدولي بشدة نحو فترة الحرب الباردة.

وقد توضح من خلال البحث اكتساب أوكرانيا مكانة هامة في المنظور لجيوبوليتيكي الروسي الذي تبلور خصوصاً في التسعينات من القرن العشرين بعد سجالات فكرية روسية قادت لتبني المنظور الاوروآسيوي من قبل الرئيس فلاديمير بوتين ، ذلك ان اوكرانيا تتمتع بمقومات جيوستراتيجية بالنسبة لروسيا، كما ان لها مكانة استراتيجية لدول الاتحاد الأوربي باعتبارها منطقة عبور التهديدات إليها من جهة الشرق المتمثلة بروسيا الاتحادية ، والحرب الحاصلة فيها يمكن ان تعبر عن تداعيات العامل الجيوبوليتيكي على العلاقات الدولية ، واخراجها الازمة الاوكرانية من نطاقها الإقليمي إلى النطاق العالمي مع تهديدها للامن الغذائي العالمي (ازمة تصدير الحبوب الأوكرانية للعالم) وامن الطاقة (ازمة الطاقة الأوربية).

ان كل المخرجات التي ستولدها الحرب في اوكرانيا من تداعيات وإبعاد عالمية، تؤكد مكانة أوكرانيا الجيوبوليتيكية بالنسبة لروسيا الاتحادية باعتبارها المنطقة العازلة بين النفوذ الروسي والنفوذ الغربي. وان سيطرة إي طرف في أوكرانيا يؤدي إلى ضرر في مصالح ونفوذ الطرف الأخر، لذا فان أوكرانيا تعد معادلة صعبة في العامل الجيوبوليتيكي الروسي ولا يمكن التفريط بها بأي شكل كان وتحت أي ضغط دولي أو

إقليمي كان ، والتراجع بالنسبة إلى روسيا يعني نهاية منظورها الجيوبوليتيكي بانها دولة اورواسيوية وبانها (قلب العالم) ، فضلا عن ان القضية الأوكرانية لها بعد قومي وشعبي وجيوسياسي في روسيا ، وحماية الأقليات الروسية هي ورقة سياسية بالنسبة إلى الرئيس الروسي ، ولمجلس الدوما والعسكريين ، ومن الممكن أن يكون التعامل مع الأزمة الأوكرانية رسالة للدول الاخرى في المنظور الاورواسيوي الروسي بانها لن تتهاون في حماية مجالها الجيوبوليتيكي.

الأستنتاجات :

١. ان أوكرانيا بموقعها ألاستراتيجي المهم في أوربا الشرقية تمثل مجالاً حيوياً متميزاً لروسيا للوصول إلى المياه الدافئة وأمكانية السيطرة على خطوط نقل الغاز بالمنطقة .

٢.ان التنوع الديمغرافي الأوكراني أدى لانقسام الدولة لجانب شرقي يدين بولائه لروسيا وجانب غربي ينتمي للاتحاد الأوربي ، وهو ما دفع باتجاه الحرب فيها .

٣. كان للقوى الإقليمية والدولية دوراً بارزاً في الحرب في أوكرانيا لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية .

٤. يصعب بالوقت الراهن التكهن بتطورات الحرب في اوكرانيا نتيجة التطورات المتلاحقة فيها لاسيما بعد الانسحاب الروسي من خيرسون في شبه جزيرة القرم مما يؤثر على طرح رؤية مستقبلية شبه ثابتة .

Sources:

1- Mujbil Arshad Muzahim, The Ukrainian Crisis and Features of Change in the International Balance, Hammurabi Journal of Studies, Issue 11, 2014.

2- Muhammad Ali , Amna , The Crimean Crisis and Its Repercussions on Russian-Ukrainian Relations, Journal of International Studies, Issue 68, 2017

3- Al-Bayati ,Altruism Anner Muhammad, The Geostrategic Basis of the Ukrainian Crisis and its Internal Repercussions, Al-Mustansiriya Journal for International Arab Studies, Journal of the Al-Mustansiriya Center for Arab and International Studies, Volume 17 - Issue 71, 2020.

4- Khalil , Suhad Ismail, , The geostrategic position of Ukraine and its impact on Russian national security (the Crimean crisis as a model), Journal of International Studies / published by the Center for Strategic and International Studies, Vol. 70, 2017.

5- al-Jubouri ,Safaa Hussein Ali, Russian foreign policy towards the United States of America in the post-cold war period - Journal of Legal and Political Sciences - Volume 1 - Issue 1, 2010.

6- Abdel-Hamid ,Mercury Awad, Russia and the United States of America: Geostrategic directions for managing the Ukrainian crisis, Tikrit Journal of Political Science, Issue 16, 2019.

7- Mahmoud ,Faris Turki, The American Missile Shield and its Impact on US-Russian Relations, Journal of Regional Studies, Year 14, Issue 45, July 2020.

8- Vian Ahmed Mohamed Lawand, The Ukrainian Crisis in Russian and American Policy and Its Future Dimensions, Journal of Sustainable Studies - Volume Three - Issue Three, 2021.

9- Francis ,Veronica Halim, Geopolitics of Russian Foreign Policy, "A Study on the Impact of Geopolitics on Russia's Relationship with Neighboring Countries," Scientific Journal of the College of Economic Studies and Political Science, No. 8, 20.

10-Al-Hamdani ,Muhammed Sadeq Jamil, The Ukrainian Crisis and Its Impact on its Geopolitical Future, Journal of the College of Basic Education, Volume 24, Issue 101, 2018.

11-Shakara ,Nadia Zia, The Repercussions of the Ukrainian Crisis on Russian-Ukrainian Relations 2014-2016, 2017.

12-Al-Hayali , Nizar Ismail and Abdel Hamid al-Eid al-Mawsawi, Russian-American relations from strategic partnership to geopolitical competition (2001-2008), Political Issues Magazine - Volume 16, No. 1, 2009.

13-Ghulam ,Wahid Anam, Turkey and Russia: Geopolitical Competition and Economic Cooperation in the Middle East, Al-Mustansiriya Journal of Arab and International Studies - Volume 14 - Issue 59, 2017.

14-Babak Rezvani , Russian foreign policy and geopolitics in the Post- Soviet space and the Middle East: Tajikistan, Georgia, Ukraine and Syria, Middle eastern studies J , VOL. 56, NO. 6 , 2020.

15-Palacio ,Priscila, The Uncertainty of a Tripolar World: The Return of Militaristic Geopolitics and the Relevance of Geoeconomics in the First Decades of the 21st Century. A Brief Mention about the Russia-Ukraine Conflict, Global Journal of Human Social Science , V. XXII ,Issue III ,2022.

16-Alcaro ,Riccardo , The EU and the Ukraine War: Making Sense of the Rise of a "Geopolitical" Union, IAI Commentaries Jornal ;V 22 , N.12,2022.

17-Kolosov ,Vladimir , Radical shifts in Russian-Ukrainian relations and geopolitics of neighbourhood , Journal of Geography, Politics and Society ,V.8 , Issue (2), 2018.

18-Bashir .Hisham Mohamed, The Role of Political Geography in the RussianUkrainian War Journal of the College of Politics and Economics, Seventeenth Issue – 2023

19-Wang ,Yihan & et all , Geopolitical risk and the systemic risk in the commodity markets under the war in Ukraine , Finance Research Letters , June 2022.